

كيفية تحقيق الأهداف السامية وبناء حياة هادفة وذات معنى عبر الجدية والتخطيط

كيف نحول فناء الدنيا إلى فرصة لبلوغ الكمال من خلال الجدية والتخطيط؟

لماذا، مع أننا ندرك مرور الزمن وزوال الدنيا، لا نضع خطاً جاداً تليق بصناعة مستقبل باقٍ والارتقاء إلى الكمال الحقيقي؟ هذا السؤال يطرق أعماق كل إنسان يفتش عن المعنى، لكن الحقيقة أنّ أكثرنا غرقى في دوامة العادة والغفلة، حتى نسينا الغاية الكبرى من الخلق وهي التشبّه بمصدر الكمال المطلق واللامتناهي.

على خلاف الرؤية المادية أو العلمانية، تُعلّمنا المعارف الإسلامية أنّ الإنسان ليس مجرد جسدٍ تسكنه الشهوات، بل كائن فطري يبحث عن معنى وغاية أرفع من مظاهر زائلة. غاية لا تتحقق إلا في ظل عبادة الله والسير في سبيله. غير أن بلوغ هذه الغاية لا يأتي عفواً، بل يحتاج إلى وعي ويقظة، وتخطيط يستنير بالوحي، وقبل كل شيء جدية في العمل. فمن يسير بلا هدف محدد ولا توكل على الله، أشبه بسفينة تائهة لا تصل إلى مرفأ.

الجدية والتخطيط ليسا مجرد أدوات لنجاح دنيوي، بل هما جناحان يرفعان الإنسان نحو التعالي والكمال الروحي. بهما تُفتح أبواب رحمة الله، وتُنال مرضاته في كل مجالات الحياة: في الدراسة والعمل، في العلاقات الاجتماعية، بل وحتى في السلوك الروحي. ومن دون جدية وتخطيطٍ يستندان إلى الشريعة، يبقى بلوغ الغايات السامية أمراً عسيراً. الجدية هي القوة الدافعة التي تُطلق الطاقات، والتخطيط هو الخريطة التي تقي من التشتت وإضاعة العمر. غير أن كثيراً ممّا يفرط في هذين الركنين، فيعوقه الكسل والتسويق، أو يُثنيه الخوف من الفشل، أو يستغرقه التعلق بالدنيا والغفلة عن الله. أما الشيطان فلا يدّخر جهداً في صرفنا عن هذا الطريق، إذ يزين لنا اللذائذ السريعة ويقطعنا عن ذكر الآخرة. إذا تأملنا في حياة الأنبياء وأهل البيت (عليهم السلام) وأولياء الله، وجدنا سر نجاحهم في عبادة صافية، وجدّ في طاعة الله، وتخطيط محكم لإعمار عمر قصير بما يرضيه. بعزيمة لا تلين وبرنامجٍ متين، ساروا إلى رضوان الله حتى بلغوا مقام القرب منه.

يبقى السؤال: كيف نرسخ الجدية والتخطيط في حياتنا اليومية وننتفع بثمراتهما العظيمة؟ في هذا الدرس سنقف أولاً عند مكانة هذين الأصلين في حياة الإنسان من زاوية المصير الأبدي، ثم نتعرّف على أبرز

عوائق تحول دون تفعيلهما، وأخيراً نستعرض خطوات عملية لتجاوز تلك العوائق والسير بخطى واثقة نحو الكمال.

كيف نجعل الإيمان بالآخرة واقعاً عملياً من خلال الجدية والتخطيط؟

لماذا، رغم إقرارنا بفناء الدنيا وضرورة الاستعداد للآخرة، نجد أن كثيراً من الناس لا يضعون لذلك خطاً واضحة ولا يتعاملون معه بجدية؟ كأن بين معتقداتنا وسلوكنا فجوة عميقة؛ نؤمن بالآخرة، لكن أسلوب حياتنا يشهد بغير ذلك. في الرؤية الإسلامية، الجدية والتخطيط ليسا مجرد فضيلة أخلاقية، بل ضرورة وجودية تمهد للولادة الكبرى نحو عالم الآخرة. هذه الولادة ليست حدثاً عابراً، بل مساراً واعٍ ونشط يتطلب جهداً منظماً وعزماً راسخاً في مختلف مجالات الحياة.

الجدية والتخطيط يعكسان عمق وعي الإنسان بحقيقته ومكانه في الكون وبغايته من الخلق. فإذا أيقن أن الدنيا محطة عابرة على طريق سفر أبدي إلى الله، سيوظف كل طاقاته في إعداد الزاد المناسب لذلك السفر. الجدية هنا تعني اليقظة من الغفلة، الالتزام بالتكاليف الإلهية، والسعي في كل شأنٍ لنيل مرضاة الله. أما التخطيط فهو رسم أهداف واضحة، اختيار الوسائل المناسبة، والمتابعة المستمرة حتى بلوغ الغاية.

ولتبسيط الصورة، يكفي أن نتأمل في حال جنين في رحم أمه: كل وجوده منصرف إلى بناء جسدٍ سليم يؤهله لدخول عالمٍ جديد. باتباعه قوانين دقيقة تحكم عالم الرحم، يتهيأ للانتقال. وهكذا الإنسان في الدنيا، عليه أن يسلك وفق منهج الله وبعديه وتخطيط، ليكون مستعداً للانتقال إلى حياة أبدية. نعم، لا يُطلب منه أن يهمل شؤون الدنيا، لكن لا ينبغي أن تشغله عن غايته العليا: القرب من الله والفوز برضوانه. نسبة الدنيا إلى الآخرة أشبه بنسبة الرحم إلى ما بعد الولادة. فكما أن جنيناً لم يستكمل نموه يعاني مشقةً عظيمة عند الخروج، فإن إنساناً أهمل إعداد نفسه للآخرة سيواجه حسرة عميقة حين يدرك أنه فوّت الفرصة الوحيدة لبناء مصيره الأبدي. تلك الحسرة نابعة من ضياع العمر فيما لا ينفع ومن إضاعة زادٍ كان لا بد أن يُدّخر للسفر الطويل.

والمؤسف أن أكثر الناس يخططون لفرش بيوتهم وتجهيز أثاثهم أو نيل شهاداتهم الأكاديمية بجدية أكبر مما يخططون لمصيرهم الأبدي! مع أن الدنيا كلها لا تساوي شيئاً أمام واقع الآخرة الخالد.^١ فإذا استقر

^١ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل؛ سورة التوبة، الآية ٣٨

في قلب الإنسان أن الدنيا عابرة والآخرة هي الحقيقة الباقية، فسيبذل كل جهده ليحيا بما يرضي الله، ويُعِدّ نفسه لذلك الموعد العظيم.

موانع الجدية والتخطيط في مسار النمو الروحي

إن الجدية والتخطيط ليسا مجرد وسيلتين للنجاح في شؤون الدنيا، بل هما ركنان أساسيان في رحلة السمو الروحي والاقتراب من الله تعالى. ومع ذلك، فإن السائر في طريق النمو، وهو يخطط لمستقبل أفضل في دنياه وآخرته، يواجه عقبات قد تزيغه عن مقصده الأعلى. هذه الموانع تنقسم إلى قسمين:

١. موانع داخلية، تنبع من أعماق النفس الإنسانية، وتظهر في ضعف الإرادة، أو غياب الفهم الصحيح للقيم الإلهية، أو الغفلة عن الغاية من الخلق.

٢. موانع خارجية، تتمثل في ضغوط المجتمع، والبيئة المحيطة، ونماذج السلوك التي تصطدم مع منظومة القيم التي جاء بها الدين.

تُعَدّ هذه العوائق من أخطر ما يواجه الإنسان في طريقه إلى الكمال والقرب الإلهي. غير أن معرفتها والتأمل فيها يشكلان نصف الحل، أما النصف الآخر فيمكن في مواجهة هذه الموانع بعزيمة صادقة ووسائل عملية، حتى تتحول العقبة إلى جسر، والابتلاء إلى فرصة للارتقاء.

فيما يلي سنتوقف عند أبرز هذه الموانع، ونستعرض سبل التغلب عليها بما يفتح أمام الإنسان أبواب التقدم في الدنيا والآخرة.

الغفلة عن الآخرة والافتتان بالدنيا

من أبرز العوائق في طريق الجدية والتخطيط أن ينسى الإنسان حياته الأبدية وينغمس كلياً في شهوات الدنيا وزخارفها. الغفلة هنا تعني فقدان البوصلة، أي نسيان الغاية من الخلق، والانشغال بلذات زائلة وهموم عابرة. فالذي يلهث خلف المال، أو يسعى وراء الشهرة، أو يستهلك عمره في إشباع الرغبات المادية، يُعرض نفسه لخطر عظيم: يغفل عن الآخرة، ويهمل الاستعداد لها.

هذه الغفلة لا تسرق من الإنسان وقته وجهده فحسب، بل تحرمه أيضاً من أعظم استثمار يمكن أن يقوم به: الاستثمار في حياته الخالدة. فالدنيا في منطق الإيمان ليست سوى مزرعة للآخرة؛ فيها نزرع الأعمال الصالحة وننتهي لموعد اللقاء مع الله. أما من يغفل عن هذه الحقيقة، فإنه يضيّع الفرصة الذهبية للنمو والارتقاء الروحي. والعلاج يبدأ من اليقظة: تذكّر الموت والآخرة على الدوام، التأمل في الهدف من الخلق،

قراءة سير الأنبياء والأولياء، وتعميق المعرفة بالله عز وجل. هذه الخطوات تحيي القلب، وتنتشل الإنسان من الغفلة، وتعيده إلى الطريق المستقيم الذي يقوده نحو السعادة الأبدية.

الإيمان السطحي وغياب التعمق في الدين

من عوائق كبرى أمام الجدية والتخطيط أن يكتفي الإنسان بإيمان سطحي لا يتجاوز المظاهر، من غير تعمق في جوهر الدين وتعاليمه. فكثيرون يبدون ملتزمين شكلاً، لكنهم يفتقرون إلى معرفة راسخة وفهم عميق، وهذا ما يجعلهم عاجزين عن إدراك القيمة الحقيقية للمنهج الإلهي، فيفقدون الحافز والجدية للالتزام به. وعند أول ضغط اجتماعي أو مؤثر خارجي، يتنازلون بسهولة عن مبادئهم وقيمهم.

الإيمان ليس مجرد شعار، بل حقيقة قلبية وروحية تحتاج إلى تفكير وغوص في المعاني. فإذا لم يتجذر الإيمان في أعماق النفس، سرعان ما تقتلعه رياح الشبهات ووساوس الشيطان. السبيل إلى ترسيخ الإيمان يبدأ بالانفتاح على القرآن الكريم بتدبر، والتأمل في سيرة أهل البيت (عليهم السلام)، والمشاركة في مجالس دينية وعلمية، وطرح الأسئلة والبحث عن أجوبة يقينية. بهذه الوسائل يتحول الإيمان السطحي إلى يقين راسخ، وإلى دافع قوي يقود الإنسان في مسيرته نحو الله.

تغليب المصالح الشخصية واللذات العاجلة

من العقبات الخطيرة أمام الجدية والتخطيط أن يُقدّم الإنسان مصالحه الخاصة ولذّاته العاجلة على مصالحه الأخروية. فكثيرون ينشغلون بإشباع رغبات النفس والبحث عن متع زائلة، فيغفلون عن القيم الأخلاقية والروحية. هذا الانغماس يحول دون التفكير في المستقبل البعيد، ويجعل صاحبه أسيراً للذة سريعة تزول ولا تترك وراءها إلا فراغاً وحسرة. غير أن طريق السعادة والفلاح لا يُفتح إلا لمن زكّى نفسه وغلب شهواته. فالذي يعجز عن السيطرة على رغباته لا يمكنه أن يحقق أهدافاً عظيمة أو يرتقي إلى مقامات عالية. ومن وسائل التحرر من أسر النفس: الصبر والمجاهدة، ضبط الرغبات، استحضار عواقب المعاصي واللذات المحرمة، والسعي لاكتساب الفضائل الأخلاقية. بهذه المجاهدة يتحول الإنسان من عبدٍ لشهواته إلى حرٍّ يسير نحو غاياته السامية بثبات وعزم.

إهمال التخصص في العلوم الدينية والاكتفاء بالسطحية في المعرفة

من أبرز العوائق أمام الجدية والتخطيط في الحياة الروحية ضعف الاهتمام بالتخصص في علوم الدين والمعارف الإلهية. ففي حين يقضي الناس سنوات طويلة في البحث والدراسة لنيل شهادات عليا في

مختلف العلوم، نراهم في شؤون الدين يكتفون بمعلومات عامة وسطحية، الأمر الذي يحول دون بناء معرفة راسخة ودقيقة، وبالتالي يُضعف الدافع إلى العمل الجاد والالتزام العملي. ومن المؤسف أنّ جامعاتنا لا تضم أقسامًا متخصصة في التوحيد أو في دراسة سيرة ومعارف أهل البيت (عليهم السلام)، بينما تُمنح أعلى الدرجات العلمية بسهولة لمن يدرس فلسفة مفكر غربي أو أدب كاتب أجنبي. وهذه المفارقة تعكس قصورًا في تقدير قيمة المعارف الإلهية في منظومتنا التعليمية والثقافية. إنّ التعاليم الإسلامية تصف العلم بالنور والجهل بالظلمة،^٢ وتجعل طلب العلم، وخاصة في ميدان الدين والمعرفة بالله، من أوكد الواجبات. غير أن هذا العلم لا يُنال إلا من مصادر أصيلة وبأساليب منهجية صحيحة. ومن هنا تبرز الحاجة إلى: دعم البحوث والدراسات في العلوم الدينية، تشجيع التخصص في العقيدة والأخلاق والمعنويات، إدخال برامج أكاديمية تعنى بالمعارف التوحيدية، والعمل على رفع المستوى المعرفي الديني للمجتمع. بهذا فقط يمكن أن نتجاوز السطحية، ونؤسس لإيمانٍ يقوم على بصيرة، وعملٍ يستند إلى وعي راسخ ومعرفة يقينية.

حلول عملية لترسيخ الجديّة والتخطيط

إنّ الإنسان، بما يحمله من شرف [الخلافة الإلهية](#) في الأرض، مؤتمن على رسالة عظيمة تتطلب منه عملاً دوّوباً، وجديّةً راسخة، وتخطيطاً محكماً ليستثمر فرصة العمر القصيرة في طلب رضا الله تعالى والسير نحو الكمال. وأوّل خطوة في هذا الطريق أن نُحسن اختيار أهدافنا. لا يكفي أن نركّز على مكاسب دنيوية زائلة، بل لا بدّ أن نوجّه همّتنا إلى الغايات العُلّيا التي تقرّبنا من الله. فكما أنّ الجنين في رحم أمّه يستعدّ ليولد إلى الدنيا، نحن أيضاً ينبغي أن نعدّ أنفسنا للانتقال من دار الفناء إلى دار البقاء. يمكننا مثلاً إعداد قائمة بأهدافنا، ثم نسأل: كيف يُسهم كلّ هدف في نمائنا الروحي؟ فإن كان همّنا زيادة الرزق، فلنربطه بالقدرة على إعانة المحتاجين وبذل الخير. وإن كان غرضنا تعلّم العربية، فلنجعل غايتها فهم كتاب الله والتواصل المباشر مع لغة الوحي. ويا للأسف، كثير من المسلمين لا يولون لغة دينهم ما تستحق من عناية.

ومن الخطوات العملية أن ننظّم برنامجنا اليومي على أساس صلتنا بالأبدية. كما نحرص على شؤون الدنيا، ينبغي أن يكون لنا همٌّ للأخرة، ونوازن بين الجانبين. وقد أوصانا رسول الله (صلى الله عليه وآله): «اعمل

^٢ عن الإمام الصادق عليه السلام: «أَلْعَلْمُ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبٍ مَنْ يَشَاءُ؛» مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق (ع). ج ١، ص ١٦

لدينا كَأَنْكَ تَعِيشُ أَبَدًا، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنْكَ تَمُوتُ غَدًا».^٣ قَبْلَ انْتِطَاقِ يَوْمِنَا، يُمْكِنُنَا وَضْعُ جَدُولٍ يَتَضَمَّنُ أَعْمَالِنَا، وَنَخْصُصُ فِيهِ أَوْقَاتًا لِلْفَرَائِضِ وَالْقُرْآنِ وَالْأَنْشِطَةِ الرُّوحِيَّةِ: تِلَاوَةُ صَفْحَةٍ بِنَدْبَرٍ، حُضُورَ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ، أَوْ صَدَقَةَ تُقَدَّمُ لِمَحْتَاجٍ.

كَمَا أَنَّ الْجَدِّ فِي طَلْبِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ رُكْنٌ أَسَاسِيٌّ. فَلِنَنْظُرْ إِلَى نِقَائِصِنَا وَنُضِعْ خُطَّةً لِعِلَاجِهَا. فَإِذَا كُنَّا نَفْتَقِدُ إِلَى الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ، فَلِنَتَمَرَّنْ مِثْلًا عَلَى دَقَائِقِ مِنَ السُّكُونِ وَالتَّرْكِيزِ قَبْلَ كُلِّ صَلَاةٍ. وَيَجِبُ أَنْ نَحْذَرَ مِنْ أَنْ نَكُونَ أَكْثَرَ جَدِيدَةً فِي دُنْيَا فَانِيَّةٍ مِمَّا فِي أُخْرَةٍ بَاقِيَّةٍ؛ فَهَذَا مِنَ الْغَفْلَةِ وَسُوءِ الْبَصِيرَةِ. وَمِنَ الْوَسَائِلِ الْمَعِينَةِ أَنْ نَخْصُصَ أَوْقَاتًا لِلتَّفَكُّرِ فِي الْمَوْتِ، وَأَنْ نَتَذَكَّرَ أَنَّ الدُّنْيَا ظِلٌّ زَائِلٌ وَالْآخِرَةُ دَارُ الْقَرَارِ.^٤ يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَفِيدَ مِنْ قِرَاءَةِ كِتَابِ الْمَعَادِ، أَوْ مَشَاهِدَةِ بَرَامِجٍ عَنِ الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ، أَوْ حُضُورِ جَنَازَاتٍ تَذَكِّرُنَا بِمَصِيرِنَا. فَمَحَبَّةُ الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ الْحُكَمَاءُ، رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ.^٥

بِهَذِهِ الْخُطُوبَاتِ الْعَمَلِيَّةِ، وَمَعَ الْاسْتِنَارَةِ بِالْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ، نَسْتَطِيعُ أَنْ نَجْعَلَ الْجَدِيدَةَ وَالتَّخْطِيطَ مِنْهَجًا رَاسِخًا فِي حَيَاتِنَا، وَأَنْ نَخْطُو بِثَبَاتٍ نَحْوَ أَهْدَافِنَا الْكُبْرَى. وَلِنَتَذَكَّرَ أَنَّ النِّجَاحَ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالصَّبْرِ وَالتَّمَثُّبَةِ وَبِذَلِ الْجُهْدِ.

لَقَدْ عَرَضْنَا فِي هَذَا الدَّرْسِ سُؤَالَ جَوْهَرِيًّا: لِمَاذَا لَا نَخْطُطُ لِآخِرَتِنَا مَعَ عِلْمِنَا بِفَنَاءِ الدُّنْيَا وَسُرْعَةِ انْقِضَائِهَا؟ ثَمَّ تَنَاوَلْنَا مَفْهُومَ الْجَدِيدَةِ فِي الْإِسْلَامِ، وَوَقَفْنَا عِنْدَ الْعَوَائِقِ الدَّاخِلِيَّةِ وَالخَارِجِيَّةِ، وَاقْتَرَحْنَا حُلُولًا عَمَلِيَّةً لِتَجَاوُزِهَا. وَالآنَ نَفْتَحُ الْبَابَ أَمَامَكُمْ: مَا هِيَ الْعُقُوبَاتُ الَّتِي وَاجَهْتُمُوهَا فِي طَرِيقِ الْجَدِيدَةِ وَالتَّخْطِيطِ؟ وَمَا الْوَسَائِلُ الَّتِي اعْتَمَدْتُمْ عَلَيْهَا لِتَخْطِئِهَا؟ إِنَّ مِشَارَكَتَكُمْ قَدْ تَلْهَمُ غَيْرَكُمْ وَتَعِينُهُمْ عَلَى الثَّبَاتِ فِي هَذَا الْمَسَارِ.

^٣ مَجْمُوعَةٌ وَرَامٌ (تَنْبِيهِ الْخَوَاطِرِ وَنَزْهَةِ النُّوَاطِرِ)، ج ٢، ص ٢٣٤

^٤ رَجَمَ اللَّهُ أَمْرًا تَفَكَّرَ فَاغْتَبَرَ وَاعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ، فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ، وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ وَكُلُّ مُتَوَقِّعٍ آتٍ وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ؛ نَهْجُ الْبَلَاغَةِ، الْخُطْبَةُ ١٠٣

^٥ الْإِمَامُ الصَّادِقُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ حُبُّ الدُّنْيَا.»؛ الْكَافِي، ج ٢، ص ٣١٥